خالد عنبتاوي*

وعد بلفور
الصهيونية والإمبريالية-عن تشابكهما الجدليّ وأثره المتبادل

مقدمة

لا نبالغ إن قلنا إن التحليلات التي تناولت وعد بلفور (وما حوله وبينه)، من المنظور الفلسطيني على الأقل، لا تتناسب وحجم الحديث المتكرر حول أهميته، أو بالأحرى خطورته ومفصليّته في المسألة العربية والفلسطينية. فتجد الحديث، تارة، يتكرر حول اعتباره مرآة عكست الأطماع الإمبريالية في المنطقة بصفة عامة دون إخضاعها للتحليل المنطقي السليم، وتارة أخرى، تطفو على السطح تحليلات تؤسطر من مكانة اللوبي الصهيوني وسيطرته على مفاصل الاقتصاد وتشابكه في السياسة الأوروبية، وتحديدا في بريطانيا، حتى أن الكثير من التحليلات اعتبر وعد بلفور "رد جميل" على الخدمات الجمّة الذي قدّمها حاييم وايزمان لبريطانيا أثناء الحرب العالميّة الأولى واختراعه مادة الآسيتون. ومن نافل القول إنّ تحليلات "روائيّة" كهذه لا تتناسب قطّ مع ما شكّله وعد بلفور من مفصليّة في تاريخ الحركة الصهيونيّة والحركة الوطنيّة الفلسطينية والعربيّة عموما.

تحاول هذه المادة تقديم رؤية تحليليّة للظروف العينيّة التي عقبت إصدار وعد بلفور مع التشديد على التحليل الطبقي (المادي–والجدلي) لهذه الظروف، وهو من المستويات التي بخل التحليل الفلسطيني في اعتمادها لفهم حقيقة الأطماع الامبرياليّة العينيّة تزامنا مع صدور الوعد. كذلك، تقرأ المادة النقاشات والصراعات داخل الحركة الصهيونيّة بين التيارات المختلفة بخصوص الاعتماد على القوى الخارجيّة، قبل الوعد وبعده. كما يتطرّق هذا المقال إلى الأثر الذي شكّله الوعد على نشاط الحركة الصهيونيّة في مرحلة الانتداب الأولى التي عقبت احتلال بريطانيا لفلسطين.

* طالب دراسات عليا في موضوع العلوم السياسية.

وعليه، فمنذ اللحظة الأولى للحركة للصهيونية، استقرت لدى هرتسل والحركة الصهيونية قناعة بضرورة طرق أبواب الدول الاستعمارية ذات المصالح في المنطقة لتيسير أمر إنشاء "البيت القومي اليهودي"، ويمكن هنا اقتباس ما قاله حاييم وايزمان ذات مرة أنه "لو لم توجد فلسطين لكان من الضروري خلقها من أجل مصلحة الإمبريالية".

الحركة الصهيونيّة، إبّان صدور الوعد

لا تنفصل موجات وظاهرة معاداة الساميّة وقراءتها عن تحليل نشأة الحركة الصهيونيّة وانتقال العالم للنمط الرأسمالي، فمنذ انتشار الرأسماليّة، ورغم أن اليهود اندمجوا في المجتمعات الأوروبية، بخلاف فترة الاقطاع (حيث اعتبرهم المفكر الماركسي أبرهام ليون أنهم فترتها شكلوا ما اسماه "شعب–طبقة" أي شعبا يؤدي وظيفة طبقيّة في النظام الاقطاعي) نظرت قطاعات واسعة من المجتمعات الاوروبيّة (خاصة طبقة التجّار المسيحيّن) إلى اليهود كمنافسين لهم في النظام الجديد وبدأت تظهر حملات "معاداة الساميّة" على اعتبار اليهود منافسين يجب الإطاحة بهم.[١] اتخذت هذه النظرة إلى اليهود أشكالا أكثر حدّة وعنفا في أوروبا الشرقيّة، وذلك أن الحكومات استخدمت اليهود ككبش فداء فيما يتعلق بالأزمات المعيشية والاقتصاديّة.[٢] ويمكن الإشارة في هذا الصدد (أي معاداة الساميّة) إلى حادثة درايفوس– العسكري في الجيش الفرنسي، الذي اتهم في ١٨٩٥ بالتجسس لصالح ألمانيا مما أشعل موجة شديدة من العدائيّة تجاه اليهود.

تزامنا مع هذه الظروف، تعاظمت الأطماع والضرورات الامبريالية، فمع توسّع الرأسمالية بعد منتصف القرن التاسع عشر، بات من الواضح أن ثمة حاجة امبريالية لتوسيع السيطرة على مناطق واستعمارها وذلك للسيطرة على أسواق جديدة والحصول على مواد خام رخيصة، كما تعاظم نشوء الحركات القوميّة في أوروبا. ومن جدليّة تعاظم المدّ الامبرلياليّ من جهة، ومعاداة الساميّة وانتشار الفكر القومي في أوروبا من جهة أخرى، وُلدت الصهيونيّة.[٣] ومنذ بدايتها، رسخت القناعة لدى هرتسل أنه ليس هناك مفرّ سوى بترحيل اليهود من أوروبا، وحل "المسألة اليهودية" خارج أوروبا، مع إبدائه "التفهّم" لمعاداة الساميّة في أوروبا، وقناعته التي شاركته فيها الحركة الصهيونية بأنها "أزلية"، وقد عبّر عن تلك القناعة في مذكراته، حيث كتب: " في باريس اتخذت تصرفاتي طابعاً متحرراً تجاه معاداة السامية التي بدأت أفهمها في سياقها التاريخي وأتفهمها. وفوق كل ذلك أدركت عبث محاولة مقاومة معاداة السامية".[٤] كما رأى هرتسل، وفق ما عبر عنه في كتابه "دولة اليهود"، حول صعوبة اندماج اليهود في المجتمعات الأوروبيّة، أن حل المسألة يكمن في ترحيل اليهود بوصفهم شعب وبناء وطن قومي خارج أوروبا يتمتع برعاية إحدى الدول الأوروبية.[٥]

وعليه، فمنذ اللحظة الأولى للحركة للصهيونية، استقرت لدى هرتسل والحركة الصهيونية قناعة بضرورة طرق أبواب الدول الاستعمارية ذات المصالح في المنطقة لتيسير أمر إنشاء "البيت القومي اليهودي"، ويمكن هنا اقتباس ما قاله حاييم وايزمان ذات مرة أنه "لو لم توجد فلسطين لكان من الضروري خلقها من أجل مصلحة الإمبريالية".[٦] ومن الجدير بالتنويه أنه وفي المراحل الأولى لم يكترث هرتسل لموقع هذا "البيت القومي" ، كما لم يكترث بموقف هذه الدول بشأن معاداة السامية، فمن المعلوم أنه طرق أبواب قادة أشد الدول معاداة للساميّة لتسويق الفكرة، أمثال فياشسلاف فون بليهف وزير داخلية روسيا القيصرية المعروف بتدبير إحدى أبشع المجازر ضد اليهود في كشينيف عام ١٩٠٣ ، إضافة لمفاوضة السلطان العثماني، قيصر المانيا، الملك الإيطالي ايمانويل الثالث والحكومة البريطانيّة".[٧] وقد صرّح هرتسل عما يتعلّق بهذا التناقض قائلا: "إن المعادين للسامية سوف يصبحون أكثر الأصدقاء الذين يمكن الاعتماد عليهم.. سوف يصبحون حلفاءنا."[٨] بناءً على ذلك، فإنه وعلى الرغم من موجات معاداة السامية، آنفة الذكر، فقد اتبعت الحركة الصهيونية نهجا مماثلا لذات الدول الاستعماريّة، وبدأت بإنشاء الشركات الاقتصاديّة. كما اتجهت لبناء مجتمع يهودي في فلسطين منعزل تماما عن العرب في شتى المستويات وتحديدا

كان من الواضح للصهيونيين ضرورة الاستعانة بقوى إمبريالية عالمية تشكّل دعما دوليا لفكرة إنشاء "البيت القومي للشعب اليهودي" الذي نادى به المؤتمر الصهيوني الأول. وتشير الدراسات إلى أن الحركة الصهيونية كانت قد شهدت انقسامات شديدة فيما بينها بين المحاور المختلفة ليس على الموقع فحسب، بل على وجهة وهوية القوى الاستعمارية التي عليهم اللجوء إليها.

الاقتصادي الذي إنتج فيما بعد ظاهرة "العمل العبري" وتأسيس "الهستدروت" واحتلال المنطقة والحيّز في شتى المستويات.

المحاور داخل الحركة الصهيونيّة وظروف إصدار الوعد

كما أسلفنا، فقد كان من الواضح للصهيونيين ضرورة الاستعانة بقوى إمبريالية عالمية تشكّل دعما دوليا لفكرة إنشاء "البيت القومي للشعب اليهودي" الذي نادى به المؤتمر الصهيوني الأول. وتشير الدراسات إلى أن الحركة الصهيونية كانت قد شهدت انقسامات شديدة فيما بينها بين المحاور المختلفة ليس على الموقع فحسب، بل على وجهة وهوية القوى الاستعمارية التي عليهم اللجوء إليها. ويمكن إجمال النقاش المبكر حينها بين تيار كان يرى في ألمانيا الحليف والقوة الحاميّة للحركة فيما رأى تيار آخر ، بزعامة حاييم وايزمان والبارون روتشلد، الحليف في بريطانيا، وتحديدا في تيار محدّد داخل بريطانيا. ومالت أجنحة أخرى إلى فرنسا وحتى إلى الإمبراطورية العثمانيّة ذاتها. ويمكن الإشارة إلى رسائل هرتسل كتعبير عن هذه النقاشات، وهو الذي تحمّس لألمانيا في البدايات، إذ كتب إلى دوق بادن الكبير رسالة يعرض فيها مخططه بتاريخ ١٥/ ١٢/ ١٨٩٨ قائلا: " هل نحصل على حماية ألمانية أو إنجليزية؟ أما حماية أي قوة غير هاتين فلا نفكر فيها الآن أبدًا. إن حركتنا اليوم مهيأة لتقبل الحماية الألمانية منذ أن حظيت بالاتصال بسموكم، وأنا- انطلاقًا من اهتمامي بألمانيا بسبب ميولي الثقافية وكوني أديبًا ألمانيًا - أفكر بأنه يجب أن نجتهد أكثر حتى نحصل على حماية الإمبراطورية الألمانية والقانون الألماني . فهناك ميل في سياسة ألمانيا للتوصل إلى موطئ قدم في الشرق وهناك اهتمام صاحب الجلالة القيصر بأرض أجدادنا اهتمامًا دينيًا وسياسيًا، وأخيرًا هناك الحقيقة القائمة وهي تأثير ألمانيا على تركيا الذي أصبح متغلبًا اليوم. كل هذه الأمور تسند وجهة نظري في أن الحماية الألمانية هي التي نريدها لحركتنا لا الحماية الإنجليزية التي يريدها البعض."[٩]

تذهب بعض التحليلات المتسرّعة لنسب أمر حسم النقاشات والنزاعات لصالح بريطانيا إلى قوة اللوبي الصهيوني في بريطانيا وسيطرته على مفاصل الاقتصاد هناك. لا يمكن أن نقرّ بهذه القراءة أو ندعمها، بل على العكس، فمعظم الدراسات والقراءات تنفي هذا الادعاء إذ كانت الحركة الصهيونية في المانيا أقوى منها في بريطانيا، حيث أن المجتمع اليهودي وعلى صغر حجمه في بريطانيا كان مندمجا في الاقتصاد والمجتمع البريطانيين ولم يعرف عنه الحماس الشديد للحركة الصهيونية،[١٠] (وحول النقاش بين الروتشلديين ووايزمان في بريطانيا سنتحدث لاحقا)، على عكس وضع الجماعة اليهودية في ألمانيا التي كانت تعدّ أقوى بكثير ، وقد شغل أبناؤها حينها مناصب حكوميّة وإعلامية وسياسية حزبية وسيطروا على ثلاثة بنوك مركزيّة، كما أن مقرّ الحركة الصهيونية ذاته كان في ألمانيا.[١١]

إن العامل الحاسم الأساسي للاعتماد على بريطانيا في استصدار وعد بلفور، هو ما ترتب عنه من تموضع عالمي للقوى بعد الحرب العالميّة الأولى وأثنائها وما جرى من ديناميكيات داخلية بريطانية في هذه الفترة، إذ إن مصالح ألمانيا كانت في تضاد مع المصالح الصهيونية حينها كون ألمانيا كانت حليفة للإمبراطورية العثمانيّة، أما بريطانيا (التي كان من الواضح أنها تسعى لاقتسام واغتنام مناطق نفوذ الإمبراطورية العثمانية بعد سيطرة تيار الراديكاليين)، فكانت قد بدأت ترى أهميّة وجود حماية لمصالحها في المنطقة بعد منتصف القرن التاسع عشر تحديدا، لتأمين خط قناة السويس، أهم ممر يربط الشرق بالغرب، وضرب

وتذهب بعض التحليلات إلى الربط بين المدّ الشيوعي الذي بدأ يطفو على السطح قبل وبعد الثورة البلشفية التي أطاحت بالنظام القيصري في روسيا، حيث اعتبرت بريطانيا أن دعم الحركة الصهيونية قد يشكّل بديلا واحتواء لليهود الذين يلتحقون بصفوف الحركات الاشتراكيّة ويساهمون في تشكيل قاعدة لها في منطقة الشرق الأوسط. ويذهب هذا التحليل إلى عدم اعتبار التزامن الزمني بين هذا المدّ وبين إصدار وعد بلفور صدفة.

الحركة النهضوية الوطنيّة الصاعدة في مصر والقومية في بلاد الشام، كما أن وجود تلك الدولة ستساهم في ربط خطوط اتصال مستعمراتها.[١٢] ويمكن التأكد من صحة هذا الادعاء بالعودة إلى مراسلات حسين – ماكماهون (بين الشريف حسين وهنري ماكماهون الحاكم العسكري البريطاني في مصر)، عشية الحرب العالميّة الاولى، والذي أكد من خلالها البريطانيون وفيما بعد، أن المحادثات والوعودات حول إنشاء دولة عربيّة بزعامة الشريف حسين لم تتطرق ولم تشمل قط الأراضي الفلسطينيّة، وهو ما تنظر إليه الكتابات الإسرائيليّة كمرحلة الوعد الاولى،[١٣] حيث يعتبر هذ التحليل أن اتفاقيّة "ساكيس–بيكو" (نسبة لمهندسيها مارك سايكس البريطاني والفرنسي جورج بيكو)، هي بمثابة المرحلة الثانيّة الممهّدة لاستصدار وعد بلفور، والذي يقسم "غنائم الدولة العثمانيّة" بين بريطانيا وفرنسا، حيث يتضح من الاتفاق أن فلسطين لم تكن جزءًا من الأراضي التي نوت بريطانيا تقديمها "للدولة العربيّة" المزعومة بل إبقاءها تحت سيطرة الحلفاء.١٤ كما عرف عن سايكس قربه لحاييم وايزمان، وقد تبادلا عدة مراسلات قبل توقيع الاتفاقية التي أظهرت انحياز سايكس للحركة الصهيونيّة.[١٥]

وتذهب بعض التحليلات إلى الربط بين المدّ الشيوعي الذي بدأ يطفو على السطح قبل وبعد الثورة البلشفية التي أطاحت بالنظام القيصري في روسيا، حيث اعتبرت بريطانيا أن دعم الحركة الصهيونية قد يشكّل بديلا واحتواء لليهود الذين يلتحقون بصفوف الحركات الاشتراكيّة ويساهمون في تشكيل قاعدة لها في منطقة الشرق الأوسط. ويذهب هذا التحليل إلى عدم اعتبار التزامن الزمني بين هذا المدّ وبين إصدار وعد بلفور صدفة،[١٦] حيث يستند مؤيدو هذا التحليل على تصريح لونستون تشرتشل يقول فيه: "إن إنشاء دولة يهودية تحت حماية التاج البريطاني يعد مفيداً للغاية من جميع الجوانب، ومتوائماً مع مصالح الإمبراطورية البريطانية ـ التي من أهمها "تدمير مخططات الثوري الروسي ليون تروتسكي الرامية لإقامة دولة شيوعية عالمية يسيطر عليها اليهود".[١٧] ويتفق مع هذا التحليل بعض الدراسات الإسرائيليّة.[١٨] وإن كان من الصعب اعتباره سببا مباشرا أو مركزيا في استصدار الوعد.

جدليّة النقاش الداخلي الصهيوني في بريطانيا والصراع الداخلي في الحكومة

إن الحذر الذي ترمي إليه القراءة الموجزة، آنفة الذكر، إزاء نسب استصدار وعد بلفور لقوّة اللوبي الصهيوني، لا ينفي بالمطلق الأثر الذي لعبته قوة نفوذ التيار الصهيوني في بريطانيا، وعلى رأسه حاييم وايزمان. العلاقات القوية التي نسجها وايزمان مع شخصيات مفتاحيّة مهمة في الحكومة البريطانية، تعززت أثناء الحرب العالميّة الأولى، لكن ما كان لهذه العلاقات أن تثمر في ظل انعدام العامل المركزي والأساسي وهو تقاطع مصالح القوى العظمى في المنطقة مع الحركة الصهيونية وما أسلفنا عرضه سابقا، وبدون حصول تغيير بنيويّ في النخبة الحاكمة البريطانيّة؛ تغيير تشابك وتفاعل مع تيار وايزمان في الحركة الصهيونية، سنبيّنه في الأسطر القادمة.

قبيل الإعلان عن التصريح أخذت قوة تيار حاييم وايزمان تزداد شيئا فشيئا، ويمكن الإشارة إلى أن فترة الأعوام بين ١٩١٤ حتى استصدار الوعد كانت حبلى بالأحداث الدراماتيكيّة، ونستطيع أن نعنون هذه الفترة كثمرة لجدلية النقاشات الصهيونية الداخليّة من جهة والصراعات الداخليّة في الحكومة البريطانيّة بين تياريّن مركزيين من جهة ثانية. كان هذا الصراع الداخلي البريطاني وعلاقته مع النقاشات الصهيونية وحراك وايزمان عاملا مركزيا دون شك.

قبيل الإعلان عن التصريح أخذت قوة تيار حاييم وايزمان تزداد شيئا فشيئا، ويمكن الإشارة إلى أن فترة الأعوام بين ١٩١٤ حتى استصدار الوعد كانت حبلى بالأحداث الدراماتيكيّة. ونستطيع أن نعنون هذه الفترة كثمرة لجدلية النقاشات الصهيونية الداخليّة من جهة والصراعات الداخليّة في الحكومة البريطانيّة بين تياريّن مركزيين من جهة ثانية. كان هذا الصراع الداخلي البريطاني وعلاقته مع النقاشات الصهيونية وحراك وايزمان عاملا مركزيا دون شك.

كما أسلفنا، فإنه من الصعب تقديم سبب واحد قاطع مباشر يجيب على سؤال سبب استصدار وعد بلفور، واستكفت عدة أبحاث باتباع النموذج الوصفي عاجزة عن تقديم تحليل سببي مباشر، ويمكن أن نراجع دراسة الباحث الإسرائيلي داني جوتوين في هذا المجال (جزء من هذه الدراسة منشور في موقع آخر من هذا العدد من قضايا). يقسّم جوتوين النقاش في الدراسات التي تناولت هذه الجزئية إلى مدرستين: "مدرسة الربط" و "مدرسة التمركز". من جانبه فإن مدرسة "الربط" والتي كان رائدها ليونارد شطاين (من مقربي وايزمان)، تشدد على دور الصهاينة البريطانيين ووايزمان وتتعامل مع المسألتين (أي الدور الصهيوني والدور البريطاني) كوحدة تحليل واحدة ترجّح من خلالها مصلحة بريطانيا في الاستعانة باليهود لاستمالة الرأي في روسيا للجم محاولات الخروج من الحرب وإقامة صلح منفرد مع المانيا، وكذلك عامل حسم الصراع داخل الجالية البريطانية لمصلحة وايزمان). بيد أن مدرسة "التمركز" والتي كان افرايم وواينري من أشهر روادها في البداية، تشدد على ضرورة الفصل بين العاملين (الصهيوني من جهة والبريطاني من الجهة الأخرى)، وتناول كل منهما كعامل بحد ذاته، أي فصل النشاط والحراك الصهيوني عن مسألة المصالح الإمبريالية البريطانية، وقد تمركز تحليل هذه المدرسة في الجانب الأخير (أي المصالح البريطانية من الوعد).[١٩]

تشدد المدرسة الثانية، بخلاف الأولى، على السياسة البريطانيّة والمصالح البريطانيّة كسبب مركزي لاستصدار الوعد، وهو ما يعبّر عنه مئير فارطا في كتابه قائلا: " لو لم يكن الصهاينة موجودين في تلك الفترة لأوجدهم البريطانيون....ليس مهما ما فعله الصهاينة ولم تكن ثمة حاجة إلى وايزمان أو سوكولوف بوجه خاص أو أي قائد صهيوني".[٢٠] بهذا المعنى، يظهر تأكيد هذا التوجه على السياسة

جنود من "الكتائب اليهودية" في الجيش البريطاني مع أسرى ألمان في الحرب العالمية الثانية.

البريطانية بحد ذاتها وما جرى أثناء وبعد الحرب العالمية الاولى، وعلى أن دور وايزمان أو سوكولوف او الحركة الصهيونية يقتصر على استثمار هذه السياسة وليس إنتاجها. كذلك ينضم الباحث يشعياهو فريدمان لهذا التوجه متمركزا في الأسباب الاستعماريّة البريطانيّة لاستصدار هذا الوعد، ويذهب دافيد يسرائيل أبعد من ذلك لتأكيد المقولة من خلال نقاش تأثير "الكتائب العبريّة" ومصلحة بريطانيا معها...[٢١]

من جانب آخر، ولكيّ نقف عند الظروف الخاصة التي أحاطت بالحركة الصهيونية عشيّة استصدار الوعد، أي بين ١٩١٥–١٩١٧، لا بد من التعمّق في النقاشات والمداولات والصراعات التي شهدتها الحركة في بريطانيّا ودور وايزمان في هذا السجّال وعلاقته بالروتشيلديّين. ولهذه العلاقة والخلافات، عشية استصدار الوعد وبعده مباشرة، موقع أساسيّ ومركزيّ في دراسة الباحث جوتويين.

بهذا المفهوم، سعى وايزمان إلى ملاءمة نشاط ووتيرة خطوات الحركة الصهيونية لعزف الراديكاليين، وقد كان هذا التوجه ومعه التحالف الوايزماني-الروتشلديّ، ما حسم النقاش داخل الحركة الصهيونية، بعد أن انضم ناتي روتشلد، وهو من لم يكن حتى أواخر ١٩١٤ متحمسا لوايزمان لأنه اعتقد أن تكثيف نشاط الصهيونية في فلسطين سيزعج السلطان العثماني، إلى أن دخلت الدولة العثمانية الحرب.

الصراع بين الراديكاليين والإصلاحيين في الحكومة البريطانيّة

إن فهم هذه الخطوات والدينامكية الداخلية الصهيونية في هذه الفترة بالذات يشكّل وفقا لجوتوين نقطة التلاقي بين المدرستين، آنفتيّ الذكر،[٢٢] ويقوم التحليل على ربط الدينامكية الصهيونية الداخلية بالديناميكية الداخلية البريطانية، أي صراع المحاور داخل الحكومة البريطانيّة، ذلك الصراع الذي من الممكن فرزه بين تياريّن أساسيين في الحكومة البريطانية: التيار الإصلاحي بقيادة رئيس الحكومة (حتى نهاية عام ١٩١٦) هربرت هنري إسكويث، وبين التيار الراديكالي الذي تزعمه لويد جورج وهو رئيس الحكومة الذي سيخلف إسكويث.[٢٣]

يعود أساس الصراع الداخلي إلى تباين وتضاد الرؤى حول إدارة الحرب العالميّة الأولى بين الإصلاحيين الذين يرون بعدم المغامرة وتفتيت الإمبراطورية العثمانية إنما السعي إلى إجراء صلح لصالح بريطانيا والإبقاء عليها حتى بعد الانتصار في الحرب، بيد أن التيار الراديكالي كان يرى ضرورة ماسة بالقضاء على كليّة الإمبراطورية العثمانية وتفتيتها وتقاسمها وفقا للمصالح الاستعمارية البريطانيّة. من نافل القول إن الخلاف والصراع ربما يبدأ في سؤال العلاقة مع الإمبراطورية العثمانية أو التوجهات المختلفة بشأن مستقبلها، لكنه لا يقف عندها، بل ينسحب على قضايا أخرى مشتقة أو ذات علاقة، فقد كان الخلاف أيضا حول التوجهات العسكرية الاستراتيجيّة التي على بريطانيا اتباعها، بين الإصلاحيين الذين رأوا ضرورة التمركز في أوروبا وحسم المعركة فيها، وبين الراديكاليين الذين كانوا يشددون على أهمية الاهتمام بالجبهة الشرقيّة وتعزيزها (أي جبهة الشرق الأوسط) ضد الإمبراطورية العثمانيّة كأحد أهم أهداف بريطانيا. ولا شك أن محور العلاقة مع الحركة الصهيونية كان موضع خلاف واضح بين التيارين، حيث أصر الراديكاليون على ان مصلحة بريطانيا الاستراتيجية تكمن في التحالف مع الحركة الصهيونية ودعمها.[٢٤]

أطيح بحكومة إسكويث عام ١٩١٦ وترأس الحكومة البريطانية من بعده لويد جورج فيما عرف بمثابة حسم الصراع والنقاش لصالح التيار الراديكالي، الذي فتح ومهّد الطريق بعد أقل من عام لاستصدار وعد بلفور، خاصة بعد تعزيز أواصر العلاقة بين لويد جورج ووايزمان منذ كانون ١٩١٧ ، إضافة إلى عامل دخول الدولة العثمانية الحرب، مما أثر بدوره على الصراع بين المحورين، فعلى سبيل المثال حتى هربرت صموئيل، وهو من المتحمسين للحركة الصهيونية، لم يكن يظن أن الوقت ملائم للحديث عن "بيت قومي لليهود في فلسطين" عام ١٩١٥ إلا أنه رأى أن دخول الدولة العثمانية الحرب معناه تفككها الحتميّ.[٢٥] لم يكن دخول الدولة العثمانية الحرب ضد بريطانيا عاملا مؤثرا على النقاشات داخل الحكومة البريطانيّة بل وداخل الحركة الصهيونية نفسها، فحتى وايزمان بدا أكثر تفاؤلا وتحمسا لتطبيق الحلم الصهيوني بعدها.

عند تناول النقاش داخل الحركة الصهيونية لا بد من الإشارة إلى محور بدأ يتعاظم بقوة وهو وايزمان–البارون روتشلد، حيث أوعز البارون روتشلد في أوائل ١٩١٥ لوايزمان أن السبيل الوحيد لتحقيق الحلم يكمن بالتقرب إلى التيار الراديكالي في الحكومة البريطانية ومساعدته في فرض أجندته، وقد اقتنع وايزمان عند تلك النقطة بمبدأين أساسيين: ضرورة تثبيت اليهود كقومية حيث اعتقد أن النقاش القومي سيأخذ حيزا في التأثير على القرارات بعد الحرب العالمية الأولى، وثانيا الإيمان الراسخ بأن بريطانيا ونصرة التيار الراديكالي فقط هما ما يمكن للحركة الصهيونية الاعتماد عليه في تحقيق حلمها.[٢٦]

يمكن عنونة توجهات الحركة الصهيونيّة بعد وعد بلفور والانتداب البريطاني على فلسطين بمرحلة مأسسة الدولة قانونيًا- فعليًا على الأرض- وتركيز الطاقات في داخل فلسطين من أجل ذلك. يأتي هذا ضمن غطاء قانونيّ سياسي من قبل الانتداب البريطاني والحاكم البريطاني الأول لفلسطين هربرت صموئيل، الذي كان صديقا للجنرال اللنبي».

بهذا المفهوم، سعى وايزمان إلى ملاءمة نشاط ووتيرة خطوات الحركة الصهيونية لعزف الراديكاليين، وقد كان هذا التوجه ومعه التحالف الوايزماني–الروتشلديّ، ما حسم النقاش داخل الحركة الصهيونية، بعد أن انضم ناتي روتشلد، وهو من لم يكن حتى أواخر ١٩١٤ متحمسا لوايزمان لأنه اعتقد أن تكثيف نشاط الصهيونية في فلسطين سيزعج السلطان العثماني، إلى أن دخلت الدولة العثمانية الحرب، وقدّم وايزمان مذكرة في كانون الثاني ١٩١٥، عندها بدأ ناتي يرى إمكانية تحقق الحلم الصهيوني، وانسحب ذلك بعدها على مجمل العلاقات الروتشلديّة مع لويد جورج. تلك العلاقات التي لم تكن على أفضل حال في السابق، وذلك بسبب سياسة لويد جورج حين كان وزيرا للمالية قبل ذلك بسنوات، حيث طرح حينها ما عرف بسياسة "موازنة الشعب" (أقرب إلى اقتصاد الرفاه) التي لم تلامس الأهواء الروتشلدية الرأسمالية، حتى عادت أواصر العلاقات لتقوى على أثر الحرب العالمية الأولى والأزمة الاقتصادية التي عصفت ببريطانيا وخاصة بعد دخول الدولة العثمانية الحرب ضد بريطانيا. ومع وصول لويد جورج سدة الحكم في أواخر عام ١٩١٦ تطوّرت العلاقة بينه وبين وايزمان، تلك العلاقة التي بدأت عمليا في ١٩١٤ من خلال صحافي بريطانيّ مقرب من لويد جورج يدعى تشارلز سكوت.[٢٧]

ناحوم سوكولوف.

مسودات الاتفاق الثلاث وصولا للصيغة النهائيّة

من الجدير التنويه أن صيغة بلفور كانت قد مرت بثلاث مراحل حتى وصلت للصيغة التي عرفت للجميع، إذ تقدم اللورد روتشلد بالنسخة الأولى للورد بلفور (حيث عمل على النسخة بالإضافة له كل من ناحوم سكولوف وأشخاص من وزارة الخارجية البريطانية). ليطرح من بعدها الوزير ميلنر صيغة معدّلة على المجلس الوزاري البريطاني في ٤ تشرين الأول ١٩١٧ وهي معدلة عن المسودة الأولى التي قدمتها الحركة الصهيونية في ١٨ تموز من العام نفسه. ومن بين هذه التغييرات استبدال عبارة " إسرائيل كبيت قومي يهودي" إلى " بيت قومي في إسرائيل"، وبدل "حكومة جلالته تتبنى المبدأ" جاء "حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف". كما أضيف التشديد على عدم إهدار حقوق غير اليهود المدنية وحقوق ومكانة اليهود في الدولة الأخرى. لتصدر النسخة النهائية للوعد في ٢ تشرين الثاني١٩١٧ .

الحركة الصهيونيّة بعد وعد بلفور

كان لوعد بلفور أثر مفصلي في تاريخ الحركة الصهيونية [٢٨] والمسألة الفلسطينيّة، بعد أن رسخت في الوعي البريطاني ضرورة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين كمصلحة استراتيجيّة. تعتبر العديد من الدراسات أن الانتداب البريطاني، وتحديدا الفترة الأولى للانتداب– أي حقبة المندوب السامي الأول هربرت صموئيل، التي سنتناولها لاحقا– الترجمة الفعلية للوعد. أو بكلمات أخرى، كان تنفيذ روح وعد بلفور من وظائفها الأساسيّة، حتى أن حاييم وايزمان أعلن ذات مرة أنهم "من عيّنوه".[٢٩] هذا على الرغم من أن التقرير الذي قدّمه مبعوثا الرئيس الأميركي ويلسون إلى مؤتمر السلام في باريس، هنري كينغ وتشارلز كرين، أكد على أنه ما من طريقة لتحقيق فكرة الحركة الصهيونية إلا بقوة السلاح وأن المسؤولين البريطانيين يدركون ذلك جيدا.[٣٠]

رزحت فلسطين، بعد الحرب العالميّة الأولى، كما كان متوقعا، تحت الانتداب البريطاني، حيث دخل إليها الجنرال ادموند اللنبي في كانون الأول ١٩١٧. كان عدد اليهود الذين سكنوا فلسطين في بداية الاحتلال البريطاني للبلاد نحو خمسين ألفا (أقل من عشر السكان)، وفي تقدير أقصى يصل عددهم إلى ستة وخمسين ألف يهودي.[٣١] كما أن حقيقة تشابك فكرة الانتداب البريطاني لفلسطين ووعد بلفور لم تكن محض تحليل فحسب، إذ إن معاهدة صكّ الانتداب المُعلن من عصبة الأمم المتحدة يشمل، فيما يشمل، الالتزام بوعد بلفور في فلسطين، كما جاء في البند الثاني لصكّ الانتداب حول تكليف بريطانيا بوضع البلاد في حال سياسية وإدارية واقتصادية تسمح بإنشاء الوطن القومي اليهودي. وعليه، فلا يمكن قراءة الانتداب، فيما بعد، بمعزل عن هذه الحقيقة الدامغة.

يمكن عنونة توجهات الحركة الصهيونيّة بعد وعد بلفور والانتداب البريطاني على فلسطين بمرحلة مأسسة الدولة قانونيًا– فعليًا على الأرض– وتركيز الطاقات في داخل فلسطين من أجل ذلك. يأتي هذا ضمن غطاء قانونيّ سياسي من قبل الانتداب البريطاني والحاكم البريطاني الأول لفلسطين هربرت صموئيل، الذي كان صديقا للجنرال اللنبي، وتدلنا المراسلات بينهما على أنهما كانا متفاهمين تماما بخصوص الوظائف المنوطة بالانتداب من أجل تحقيق الوعد وتهيئة فلسطين للدولة العبرية.[٣٢]

التغطيّة والدفيئة القانونيّة: كما أسلفنا، كانت حقبة هربرت صموئيل والتي لا يستقيم فصلها عن وعد بلفور، وما خلفه وكشفه، كانت المرحلة المؤسِّسة الرئيسية للدولة العبريّة لتشكيل البنيّة الفوقيّة–القانونية كدفيئة لتشكيل البنية التحتية المؤسساتية الصهيونية، أي خلق إسرائيل قانونيا كما يصفها الباحث سلمان أبو ستة. في هذه الحقبة أصدرت سلطة الانتداب حوالى مائة تشريع تمكّن من تسريب الأراضي من العرب إلى اليهود، إضافة إلى إنشاء نظام تعليم منفصل لليهود، ونواة لوزارة طاقة ووزارة أشغال ووزارة مياه. كما سُمح لليهود بتشكيل جيش منفصل.[٣٣] ولم تدعم بريطانيا إلا المؤسسات العبرية اليهودية، ولم تدعم حكومة الانتداب البريطاني بناء مؤسسات فلسطينية في حين دعمت بناء المؤسسات الصهيونية، وحرصت على أن لا تقيم مؤسسات تمثيلية منتخبة في البلاد، وذلك خوفا من تأثير العامل الديمغرافي الذي لم يكن ليتلاءم مع مصالحها، كون الأغلبية السكانيّة هي عربية فلسطينية.[٣٤]

بداية الصراع الداخلي الوايزماني–التصحيحي: كان النقاش والصراع الذي نشب بين تيار حاييم وايزمان من جهة وبين زئيف جابوتنسكي، مؤسس الصهيونية التصحيحيّة، من الجهة المقابلة، أحد المخلّفات الواضحة والظاهرة بعد إصدار الوعد. ويمكن اختزال وعنونة هذا الصراع بالنقاش حول مفهوم "الجدار الحديدي"، ويُعد مقال زئيف جابوتنسكي الذي يحمل هذا العنوان ثمرة لهذا النقاش، الذي بدأ مباشرة بعد وعد بلفور. وتقوم فكرة الجدار الحديدي على فهم أساسي لحقيقة أن النشاط الصهيوني لن يكون مقبولا على السكان المحليين (أي الفلسطينيين)، وأن ذلك سيثير مقاومتهم له، وعليه يرى أصحاب هذا التوجه أن الحركة الصهيونية يجب أن تبني "جدارًا واقيا" لها يقف سدا أمام ذلك من خلال الاعتماد على الامبريالية البريطانيّة كي لا تنحصر المسألة بين الصهاينة والعرب. كذلك يرى أصحاب هذا التوجه أن لا رجاء يذكر من إجراء أي مبادرات لمفاوضة السكان المحليين، حتى أن جابوتنسكي يذهب أبعد من ذلك ويشدد على ضرورة دور "الكتائب العبرية" كذراع للجيش البريطاني.[٣٥] وربما يعود مصدر الصراع المذكور إلى النقاش داخل تيار حاييم وايزمان والمقربين إليه، عشيّة وعد بلفور.

اتبع حاييم وايزمان مبدأ الإفادة من التيار الراديكالي في الحكومة البريطانية لتثبيت أقدام الحركة الصهيونية في فلسطين، إلا أنه منذ منتصف ١٩١٧ وحتى استصدار الوعد، أخذت الآراء النقدية تلفّ سلوك وايزمان حتى من أقرب مقربيه مثل هاري ساكر، سوكولوف وطولكفسكي وغيرهم. وقد تمحور النقد حول ادعائهم أن وايزمان يقوم برهن الحركة الصهيونية لبريطانيا ويرهن نجاحها بالاعتماد الكلي على النوايا والمصالح الاستعمارية البريطانيّة، وهو بهذا مطابق لفكر جابوتنسكي.[٣٦]

بدأ حاييم وايزمان، في أعقاب وعد بلفور، شيئا فشيئا، بتغيير سياسته استراتيجيا، وبات، كما يصفه جابوتنسكي، متخليًا عن مفهوم "الجدار الحديدي"، إذ بدأ يرى ضرورة عدم الاعتماد فقط

امتازت الفترة التي أعقبت وعد بلفور بتكثيف النشاط الصناعي والزراعي اليهودي الصهيوني في فلسطين وتوسيع الاقتصاد اليهودي. اعتمد الصهاينة بناء نموذج الاقتصاد القومي المنغلق على المجتمع اليهودي، على خلاف نموذج جنوب إفريقيا، حيث كانت الرأسمالية بيضاء وغالبية العمال من السود، ففي فلسطين أرادت الحركة الصهيونية أن تكون علاقات الإنتاج والعمل والطبقات منحصرة في الشعب اليهودي.

على البريطانيين. وقد كان النقاش حول دور "الكتائب العبريّة" انعكاسًا لهذا التغيير، إذ رأى جابوتنسكي أن الكتائب يجب أن تكون ملحقة، وذراعا للجيش البريطاني، مقابل فكرة "الهجانيّة" المستقلة.[٣٧] وصل هذا الصراع ذروته لدى استقالة جابوتنسكي من الإدارة الصهيونية عام ١٩٢٣ ، بعد أن كانت المواقف بينهما متقاربة جدا حتى صدور وعد بلفور.

حقبة مأسسة التنظيمات وبناء المؤسسات في الطريق إلى الدولة: على أثر وعد بلفور، ازدادت الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، حيث سهّلت حكومة الانتداب هذه الهجرة وشرعت الأبواب لها. وباشرت الحركة الصهيونية بتأسيس البنية التحتية للدولة بكثافة أكبر، حيث أنشأت مؤسسة **"الهستدروت" (الاتحاد العام لنقابة العمال في إسرائيل)**، التي وحّدت الأحزاب العمالية التي كانت منقسمة فيما بينها ولها هيئات منفصلة. وقد عُقد في كانون الأول ١٩٢٠ المؤتمر العام لـ "عمال أرض إسرائيل" وفيه أعلن عن تأسيس "الهستدروت". ٨٧ مندوب مثلوا ٤ أحزاب منتخبة من قبل ٤٤٤٣ عاملا. وكان لتأسيس "الهستدروت" أثر كبير ليس على تنظيم العمال الإسرائيليين فحسب، بل على مستوى بعث الشعور القومي في صفوف الصهاينة، حيث تقاطع عملها على عدة مستويات: اجتماعي، سياسي وأمني.[٣٨]

ويعد بناء مؤسسات **"اليشّوف" (التجمعات الاستيطانيّة الأولى)** المستقلة، من أهم سمات المرحلة التي عقبت وعد بلفور في نشاط الحركة الصهيونيّة، وهو ما تعتبره العديد من الدراسات تعبيد الطريق للدولة، فبين سنوات ١٩١٨–١٩١٩ عقدت العديد من الاجتماعات لممثلي التجمعات الاستيطانية " اليشوف" واتفق على انتخاب "مجلس منتخبين". وفي نيسان ١٩٢٠ عقدت هذه الانتخابات، وفي تشرين الأول من العام نفسه اجتمع المجلس، الذي سميّ "كنيست إسرائيل"، وهو الذي يحدد السياسات، حيث تُنتخب منه "لجنة قوميّة" تشكّل الذراع التنفيذي للسياسات. يضاف إلى هذه المؤسسات، مؤسسة المحكمة الشرعية اليهودية و "الحاخاميّة الكبرى"، التي حصلت على اعتراف حكومة الانتداب وأعطيت لها صلاحية البت في أمور الدين والأحوال الشخصيّة.[٣٩]

تعزيز وتقوية حركة "الروّاد" (بالعبرية: هحلوتس): وهي منظمة صهيونية شبابيّة كانت قائمة من قبل، لكن بعد وعد بلفور سجّل ازدياد في عدد المنظمين لها، حيث هاجر ما يقارب ٦٠٠٠ منهم إلى فلسطين، بعد أن تلقوا التدريبات في عدة بلدان خاصة روسيا وشرق أوروبا– تدريبات وإعداد زراعي ومهني ودفاعي عن المستعمرات والمستوطنات المقامة.[٤٠]

بناء الاقتصاد اليهودي المنغلق و"العمل العبري": امتازت الفترة التي أعقبت وعد بلفور بتكثيف النشاط الصناعي والزراعي اليهودي الصهيوني في فلسطين وتوسيع الاقتصاد اليهودي. اعتمد الصهاينة بناء نموذج الاقتصاد القومي المنغلق على المجتمع اليهودي، على خلاف نموذج جنوب إفريقيا، حيث كانت الرأسمالية بيضاء وغالبية العمال من السود، ففي فلسطين أرادت الحركة الصهيونية أن تكون علاقات الإنتاج والعمل والطبقات منحصرة في الشعب اليهودي. لذلك قاموا بحملات إغلاق السوق اليهودي أمام العرب وأنشأوا ما اصطلح على تسميته "العمل العبري"، مستغلين "الصندوق القومي اليهودي" وسيطرته على الأراضي، وفرض هذه القاعدة على هذه الأراضي. وقد قاطعوا كل من يخالف هذا النهج. أقرّت الحركة والهستدروت نوعين من الضرائب على أعضائها: الدفاع عن العمل اليهودي وضريبة من أجل الدفاع عن المنتوجات اليهوديّة، إضافة إلى تنظيم الهستدروت مظاهرات وإضرابات ضد ملاك الأراضي اليهود ممن يوظّفون عربا.[٤١] كما دخلت الحركة الصهيونية في منافسة مع المقاولين

العرب لتنفيذ أعمال ومنشآت عامة وشق طرقات وقد حظوا بمعظمها. وتشير دراسات إلى أن العمل على شق الطرقات استغلّ لبناء تجمعات يهودية محاذية للشوارع، بدأت بنصب الخيام وعززت من الشعور الجماعي و "التضحيّة" الجماعية والتكافل الاجتماعي. كما أقاموا كتائب، أشهرها كتيبة تحمل اسم "يوسف ترومبلدرو" تمركزت أهدافها في الاستيطان الزراعي، واستيعاب المهاجرين، وحماية المستوطنات، واحتلال العمل العبري والعمل الصهيوني "الاشتراكي".[٤٢]

التعامل مع المجتمع الفلسطيني: يشير الباحث هيلل كوهين أن الحركة الصهيونية بعد وعد بلفور، وبقيادة تيار وايزمان كما اسلفنا، لم تكتف بضمان العلاقات الخارجية الجيدة مع بريطانيا وأوروبا، بل اقتنعت بضرورة أخذ السكان المحليين في عين الاعتبار، ليس من منطلق حقوقهم، وإنما التعامل معهم ضمن هذا المشروع، حيث شكّلت الحركة الصهيونية عام ١٩١٩ مركزا استخباريًا خاصًا بمسألة العلاقات بين العرب واليهود، كان من مهامه الأساسية جمع معلومات حول الأجواء الشعبيّة والآراء السياسية في صفوف العرب، ورصد الأماكن وأصحاب الأراضي الذين من الممكن الشراء منهم، إضافة للمعلومات الاستخبارية حول نوايا الأعمال الموجّهة ضدهم. كما توصّل حاييم وايزمان إلى اتفاق مع الملك فيصل (ابن الحسين) في مؤتمر باريس عام ١٩١٩ يضمن دعم أو عدم مناهضة فيصل لمشروع دولة يهودية في فلسطين، وكان مهندس هذا الاتفاق البريطاني المدعو "لورانس العرب". وقّع فيصل على الاتفاق مع حاييم وايزمان ولكنه وقّع بخط يده على أن الاتفاقية سارية وتتم فقط إذا نال العرب استقلالهم.[٤٣] وقد كان هذا التوجه لنسج العلاقات العربية–الصهيونية الذي دعمه وايزمان أحد أهم محاور الصراع الوايزماني–التصحيحي (من الصهيونية التصحيحية التي أسسها جابوتنسكي)، حيث رأى جابوتنسكي أن ما من داع لهذه المشاورات، وأن الحليف المركزي والعامل المركزي لحسم الصراع هو بريطانيا.[٤٤]

أنماط استيطان جديدة : تشير بعض الدراسات أن ثمة شكلين جديدين للاستيطان ظهرا بعد الحرب العالمية الأولى (عقب وعد بلفور)، خاصة في منطقة مرج ابن عامر: "المجموعة الكبيرة" (كيبوتس) و "تجمع العمّال". وبخلاف النمط الأول في الهجرة الثانية، فإن المجموعة الكبيرة ملائمة لتجمّع سكاني كبير، ليس فقط لأصحاب المهن والمهنيين وإنما لجميع من أراد الانضمام للمستوطنة. كما أن هذا النمط من (المجموعة الكبيرة) يشكّل سوقًا مشتركًا واسعًا ومتشعّبا يشكّل وحدة مستقلة. إن الفكرة التي تقف وراء هذا النمط الاستيطاني والبناء التجمّعاتي تساهم في استيعاب الهجرة الآخذة في الارتفاع بعد وعد بلفور، وتلغي الحاجة للعمّال الأجيرين كونها تطوّر سوقًا ديناميكيًا، إضافة إلى تطوير التعليم.[٤٥]

أما النمط الثاني الذي جرى تطويره فهو "التجمّع العمالي" (التعاونيّة العمّالية)، وكانت مبادئه وصورته: أرض قوميّة، عمل مستقل دون الحاجة لعمّال بالأجرة، تشاركية، خدمات عمومية مشتركة، تعاونية شراء–بيع منتوجات الاستهلاك والإنتاج لأعضاء "التجمع" أو "التعاونيّة".[٤٦]

ازدياد هجرة اليهود الشرقيين (اليمن تحديدا): أدت أحداث الحرب العالمية الأولى وما تلاها من نتائج إلى بعث روح مسيحيانيّة وتفاؤليّة لدى اليهود الشرقيين، وتحديدا منطقة اليمن، إذ تشير الدراسات إلى ارتفاع ملحوظ في هذه الهجرة. كذلك تأثر هؤلاء بدعوات التحفيز التي وصلتهم من اليهود القاطنين في فلسطين وخاصة بعد انشاء لجنة ممثلين ليهود اليمن بدعم من "الهستدروت". تدعم الإحصائيات المسجّلة هذا التوجّه إذ إن عدد اليهود اليمنيين في فلسطين كان ٤٥٠٠ إبان وعقب الحرب العالميّة الأولى، ليصل إلى ٢٨٠٠٠ عشيّة الحرب العالميّة الثانيّة.[٤٧]

ويأتي تأكيد بعض مما أسلفنا عرضه، من تقرير للحكومة البريطانية لعام ١٩٢٥ قدّم إلى مجلس عصبة الأمم يلخّص الفترة الأولى للانتداب، جاء فيه "الإنجازات" التي حققها الانتداب لهذه الحقبة ومنها:

- تسهيل هجرة أكثر ٣٤٠٠٠ يهودي (أي ثلاث أضعاف العام الذي سبق)، وهو ما يقارب أكثر بـ ٧٥٪ من العدد الكلي لليهود الذين تواجدوا في فلسطين منذ الهجرة الأولى وحتى قبل بداية الانتداب.
- إنشاء ١٣ مستوطنة صهيونيّة.
- منح البلدة اليهودية "تل أبيب" استقلالًا ذاتيًا.
- افتتاح الجامعة العبرية، وقد حضره بلفور ووايزمان.
- انشاء منظمة "الهستدروت" (نقابة العمال العامة في إسرائيل).

يضاف إلى هذه النقاط بناء المؤسسات آنفة الذكر ، وليس "الهستدروت" فقط؛ وكذلك أنماط الاستيطان التي استحدثت لتعزيز الوجود الصهيوني واستيعاب الهجرات المتزايدة، وفرض توجّه "العمل العبري" واعتماد هذا العمل في كل البلاد وفي مجالات إضافية على غرار: شقّ الشوارع، سكك حديد، جسور ومنشآت وغيرها.[٤٨] أما اذا اردنا تعداد "خدمات" الحاكم البريطاني الأول لفلسطين هربرت صموئيل وترجمة الهدف العام، سالف الذكر، الذي أعلن

أما اذا اردنا تعداد "خدمات" الحاكم البريطاني الأول لفلسطين هربرت صموئيل وترجمة الهدف العام، سالف الذكر، الذي أعلن عنه، فلا بد من التنويه إلى سياسات فتح أبواب الهجرة بالأساس والسماح في عهده لهجرة بمعدل ١٦٥٠٠ مهاجر. كذلك سمح هذا ببيع الأراضي لليهود من العرب، واعترف باليهودية كلغة رسميّة، وبكل المؤسسات الصهيونية.

عنه، فلا بد من التنويه إلى سياسات فتح أبواب الهجرة بالأساس والسماح في عهده لهجرة بمعدل ١٦٥٠٠ مهاجر. كذلك سمح هذا ببيع الأراضي لليهود من العرب، واعترف باليهودية كلغة رسميّة، وبكل المؤسسات الصهيونية، ودعم الاقتصاد الصهيوني من خلال توكيل صهاينة بمعظم عمليات المقاولة الكبيرة لشق الشوارع وبناء المنشئات، ودعم إنشاء الجامعة العبريّة.[٤٩] استمرت معدلات الهجرة بالارتفاع حتى اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى، إذ تشير الدراسات إلى أن الهجرة الصهيونية سجّلت ارتفاعا مستمرا، ففي عام ١٩٣١ سجّلت أعداد المهاجرين ٤٠٠٠، لترتفع إلى ٩٠٠٠ عام ١٩٣٢ ثم ٣٠ ألفا عام ١٩٣٣ لتصل ٦٢ ألفا للعام ١٩٣٥. وسجّلت الأرقام ما يقارب ٤٥٠٠٠٠ يهودي في فلسطين عشيّة الحرب العالميّة الثانيّة،[٥٠] أيّ ما يقارب **أكثر بـ ٩ أضعاف العدد الذي سُجّل قبل وعد بلفور.**

حول ردة فعل المجتمع الفلسطيني: من المعلوم والجدير بالتنويه أن هذه السياسات رفعت منسوب القلق والخطر لدى **المجتمع الفلسطيني**، ولا نبالغ إن ادعينا أنها عزّزت وأثرت في الشعور الوطني الفلسطيني والحركة الوطنية الفلسطينية، التي وإن أطبقت عليها وأعاقت تطورها بنيتها التقليديّة والعلاقات المتوارثة، إلا أن هذه الفترة (أي التي عقبت وعد بلفور) شهدت العديد من الاشتباكات والاحتجاجات العنيفة التي قوبلت بعنف شديد من قبل سلطات الاستعمار البريطاني، كأحداث عام ١٩٢١ ضد الهجرة الصهيونيّة، وأحداث ثورة البراق صيف عام ١٩٢٩ التي قادها الشهداء: عطا الزير، محمد جمجوم وفؤاد حجازي، ومظاهرات عام ١٩٣٣ تنديدا بتوسيع الأبواب أمام الهجرة اليهودية ودعم النشاط الصهيوني، والتي قوبلت كذلك بعنف شديد واستشهاد البعض من بينهم موسى الحسيني، رئيس بلديّة القدس سابقا.[٥١]

ملخّص

استِقاءً مما جاء، فقد شكّل وعد بلفور مرحلة مهمة ومفصليّة في تاريخ الحركة الصهيونية، وكان له أثر مركزي في سياق النشاط الصهيوني في فلسطين التاريخيّة، وعلى مستوى علاقاتها الخارجيّة. بيد أن البحث والاستقصاء الفلسطيني، وربما العربي، لا يتناسب وهذه المفصليّة التي لطالما خلصت إليها الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة. وقد حاولت هذه المادة تناول جزئية جدلية الديناميكيات الداخليّة الصهيونية من جهة والتموضعات العالميّة الامبرياليّة من الجهة الأخرى، إبان وعشية وعقب استصدار الوعد، وقراءة هذه الجزئية قراءة جدليّة، لتقديم رؤية تحليلية حول ظروف وحيثيات صدور وعد بلفور، وكيف أثّر على ديناميكيات الحركة الصهيونية ونشاطها في فلسطين بعد صدوره مباشرة.

تركّز المادة في تحليلها الأطماع الامبريالية في المنطقة، ونشأة وتشابك الصهيونية معها، ، وترى أن ثمة وعيًا قد استقرّ لدى قادة الحركة الصهيونية منذ نشأتها أن لا بديل ولا مناص من الاستعانة بالقوى الامبريالية لتحقيق المساعي الصهيونية، وكيف شكّلت معاداة السامية (التي تعاظمت مع تطوّر الرأسماليّة)، وبصورة جدلية ومفارقة، محفزا ووقودا لاختمار هذا التشابك الصهيوني–الامبريالي وذلك لحلّ المسألة اليهودية خارج أوروبا، مما أنشأ معه الصراعات الصهيونية الداخليّة حول وجه الداعم والراعي، بين التيار المبكر الذي رأى بألمانيا الحليف الأقوى مقابل تيار حاييم وايزمان وروتشلد الذي رأى بريطانيا هي الأوفر والأكثر مصلحة بالمشروع الصهيوني.

من تحليل واستقراء الجدل بين الديناميكيات الصهيونية في مقر الحركة في بريطانيا تحديدا وقوى تيار وايزمان–روتشلد من جهة وحسم النقاش الصهيوني الداخلي بانتصار منهجهما من جهة، والديناميكيات الداخلية البريطانية التي أدت في النهاية إلى حسم

النقاش لصالح الراديكاليين مقابل الإصلاحيين ومع التموضعات التي نشأت خلال الحرب العالمية الأولى وُلد الوعد، أو على الأقل فُطم واستقرّ في الوعي البريطاني. لا يمكن لقراءة الوعد وتحليله أن تستقيم بعيدا عن رؤية هذه الديناميكيات وتحليل تشابكهما معا.

كان لوعد بلفور الأثر المباشر والواضح على نشاط الحركة الصهيونية داخل فلسطين وذلك تواؤما مع إدراج بريطانيا لفكرة تهيئة "البيت القومي اليهودي" كجزء أساسي من مهام الانتداب، على شكل تأسيس الأرضية القانونية والبنية الفوقية بواسطة استصدار قوانين الهجرة، دعم نظام التعليم اليهودي والشركات اليهودية وغيرها كدفيئة للبناء التحتي الصهيوني على الأرض، السماح بقيام المؤسسات النقابية والحزبية والعسكرية، وإتاحة الطريق أمام مضاعفة الهجرات اليهودية، ويمكن تلخيص هذا الأثر بالمستويات التاليّة:

التغطيّة والدفيئة القانونيّة "للبيت القومي"؛ بداية الصراع الداخلي الوايزماني–التصحيحي؛ مأسسة التنظيمات وبناء المؤسسات في الطريق إلى الدولة: الهستدورت، مؤسسات الييشوف وغيرها؛ تعزيز وتقوية حركة "الروّاد" (بالعبرية: هحلوتس)؛ بناء الاقتصاد اليهودي المنغلق و"العمل العبري"؛ محاولات نسج علاقات صهيونية–عربية؛ اتباع أنماط استيطان جديدة و ازدياد هجرة اليهود الشرقيين (اليمن تحديدا).

لا شك أن التعامل البريطاني واستراتيجيات حكمه لم تكن ثابتة خلال فترة الانتداب، ولا يمكن تناولها بصفة كليّة. فثمة ما هو ثابت وآخر متحول في هذه السياسة، وقد حاولت هذه المادة تقديم الثابت منها في فترة محددة على أثر صدور وعد بلفور، والتي خلصت إلى اعتبارها حقبة مؤسسة نسجت ملامح المرحلة التي تلتها "بتفان" و "إتقان"، و "وفاء" بريطانيا لوعدها.

الهوامش

1 مركز الدراسات الاشتراكي. (2001). القضية الفلسطينية- رؤية ثورية. القاهرة:.وحدة الدراسات.

2 روجرز، آن. (1998). المسألة اليهودية . لدى: ليندزي جيرمان و روب هوفمان. كتاب تقرير اشتراكي. لندن: بوكماركس، الفصل 34.

3مركز الدراسات الاشتراكي. (2001). القضية الفلسطينية- رؤية ثورية. القاهرة: وحدة الدراسات.

4 سلفا، لانس. (ربيع، 1998). الصهيونية: المسيح الكاذب. أمريكا: إنترناشيونال
سوشياليست ريفيو.

5 هيكل، محمد حسنين. (1996). المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل. الجزء الأول.
القاهرة: دار الشروق،

6 المسيري، عبد الوهاب. (1982). الأيديولوجية الصهيونية. الجزء الأول. الكويت:
عالم المعرفة.

7 سلفا، لانس. (ربيع، 1998). الصهيونية: المسيح الكاذب. أمريكا: إنترناشيونال
سوشياليست ريفيو.

8 Cliff, Tony. (May 1998). The Jews, Israel and Holocaust. The Marxists.
Retrieved in (01.03.17), from https://www.marxists.org/archive/cliff/works/1998/05/israel.htm.

9 الصايغ، أنيس. (1968). يوميات هرتزل. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الأبحاث.

10 مركز الدراسات الاشتراكي. (2001). القضية الفلسطينية-رؤية ثورية. القاهرة: وحدة الدراسات الاشتراكيّة.

11عيليم، يجئال. (2014). وقائع الشعب اليهودي في العصر الحديث، فصل
الحركة الصهيونية. موقع كلية "سابير". مستقاة بتاريخ (02.03.17)، من: http://elam.sapir.ac.il/2015/01/%D7%94%D7%AA%D7%A0%D7%95%D7%A2%D7%94-%D7%94%D7%A6%D7%99%D7%95%D7%A0%D7%99%D7%AA-1918/ (بالعبرية).

12 المصدر السابق.

13 قناة طولدوت، (2011). " حلميش، أفيفا. وعد بلفور. محاضرة مصوّرة". موقع
"تولدوت": http://toldot.cet.ac.il/movie6.aspx (بالعبريّة)

14 الوكالة اليهوديّة، (2012). وعد بلفور: نقطة تحوّل في تاريخ الحركة الصهيونيّة.
موقع المكتبة الالكترونيّة. مستقاة بتاريخ (01.03.17).من: : http://lib.cet.ac.il/pages/item.asp?item=5467 (بالعبريّة).

15 الجزيرة 2008) .((Al-Jazeera). " النكبة- الجزء الأول- خيوط المؤامرة". https://www.youtube.com/watch?v=rFYmRX7A_Fc

16 المصدر السابق.

17 سلفا، لانس. (ربيع 1998). الصهيونية: المسيح الكاذب. أمريكا: إنترناشيونال
سوشياليست ريفيو.

18 الوكالة اليهوديّة، (2012). وعد بلفور: نقطة تحوّل في تاريخ الحركة الصهيونيّة.
موقع المكتبة الالكترونيّة. مستقاة بتاريخ (01.03.17).من: : http://lib.cet.ac.il/pages/item.asp?item=5467 (بالعبريّة).

20 فارطا، مئير. (1968). حول وعد بلفور وصانيعيها. هآؤما، مجلد 5. ص.ص. 301 – 302. (بالعبريّة).
21 جوتوين، داني. (2006). العوامل لاصدار وعد بلفور: حاييم وايزمن، الحركة الصهيونية
والامبريالية البريطانية. يسرائيل، 24، ص 63 – 142. (بالعبرية).
22 المصدر السابق.
23 المصدر السابق.
24 المصدر السابق
25 المصدر السابق
26 المصدر السابق.
27 المصدر السابق.
28 قناة طولدوت، (2011). " حلميش، أفيفا. وعد بلفور. محاضرة مصوّرة". موقع
"تولدوت": http://toldot.cet.ac.il/movie6.aspx (بالعبريّة)
29 الجزيرة 2008) .((Al-Jazeera). " النكبة- الجزء الأول- خيوط المؤامرة". https://www.youtube.com/watch?v=rFYmRX7A_Fc
30 المصدر السابق.
31 قناة طولدوت، (2011). " حلميش، أفيفا. وعد بلفور. محاضرة مصوّرة". موقع
"تولدوت": http://toldot.cet.ac.il/movie6.aspx (بالعبريّة)

32 ا الجزيرة 2008) .((Al-Jazeera). " النكبة- الجزء الأول- خيوط المؤامرة".
https://www.youtube.com/watch?v=rFYmRX7A_Fc
33 المصدر السابق.
34 قناة طولدوت، (2011). " حلميش، أفيفا. وعد بلفور. محاضرة مصوّرة". موقع
"تولدوت": http://toldot.cet.ac.il/movie6.aspx (بالعبريّة).
35 جوتوين، داني. (2006). العوامل لاصدار وعد بلفور: حاييم وايزمن، الحركة الصهيونية
والامبريالية البريطانية. يسرائيل، 24، ص 63 – 142. (بالعبرية).

36 الجامعة المفتوحة (2015) .(The Open Univirsity). جوتوين، داني: وعد بلفور ومشارب
التصحيحية والوايزمانية، محاضرة مصوّرة في الجامعة المفتوحة.
https://www.youtube.com/watch?v=dXuE-nJDpX0
37 المصدر السابق.
38 الوكالة اليهودية. (2012). الهجرة الثالثة (1923-1919): تعزيز البنية التحتية للبيت اليهودي.
موقع "المكتبة الالكترونية". مستقاة بتاريخ (01.03.17). من:
http://lib.cet.ac.il/pages/item.asp?item=5468 (بالعبرية).
39 المصدر السابق.
40 المصدر السابق.
41 .Cliff, Tony. (May 1998). The Jews, Israel and Holocaust
The Marxists. Retrieved in (01.03.17), from https://www.marxists.org/archive/cliff/works/1998/05/israel.htm.
42 الوكالة اليهودية. (2012). الهجرة الثالثة (1923-1919): تعزيز البنية التحتية للبيت اليهودي.
موقع "المكتبة الالكترونية". مستقاة بتاريخ (01.03.17). من:
http://lib.cet.ac.il/pages/item.asp?item=5468. (بالعبريّة).
43 الجزيرة 2008) .((Al-Jazeera). " النكبة- الجزء الأول- خيوط المؤامرة".
https://www.youtube.com/watch?v=rFYmRX7A_Fc

44 الجامعة المفتوحة (2015) .(The Open Univirsity). جوتوين، داني: وعد بلفور ومشارب
التصحيحية والوايزمانية، محاضرة مصوّرة في الجامعة المفتوحة.
https://www.youtube.com/watch?v=dXuE-nJDpX0 (بالعبريّة).
45 لوكالة اليهودية. (2012). الهجرة الثالثة (1923-1919): تعزيز البنية التحتية للبيت اليهودي.
موقع "المكتبة الالكترونية". مستقاة بتاريخ (01.03.17).
من: http://lib.cet.ac.il/pages/item.asp?item=5468. (بالعبريّة).
46 المصدر السابق.
47 المصدر السابق.
48 المصدر السابق.
49 الوكالة اليهودية. (2012). الصهيونية، الحركة الوطنية العربية والانتداب البريطاني في السنوات
(1925-1919). موقع "المكتبة الالكترونية". مستقاة بتاريخ (28.02.17). من:
http://lib.cet.ac.il/pages/item.asp?item=5469
50 قناة طولدوت، (2011). " حلميش، أفيفا. وعد بلفور. محاضرة مصوّرة". موقع "تولدوت":
http://toldot.cet.ac.il/movie6.aspx (بالعبريّة).
51 الجزيرة 2008) .((Al-Jazeera). " النكبة- الجزء الأول- خيوط المؤامرة".
https://www.youtube.com/watch?v=rFYmRX7A_Fc .